

## بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، بارئ الخلائق أجمعين، باعث الأنبياء والمرسلين، ثم الصلاة والسلام على سيدنا ونبينا وحبیب قلوبنا أبي القاسم المصطفى محمد وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين الأبرار المنتجبين، سيما خليفة الله في الأرضين، واللعنة الدائمة الأبدية على أعدائهم إلى يوم الدين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

(١)

### دروس في أصول العقائد

قال الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

وقال الإمام الرضا عليه السلام كما رواه في الكافي الشريف: (...إن الخالق لا يوصف إلا بما وصف به نفسه وأنى يوصف الذي تعجز الحواس أن تدركه والأوهام أن تناله والخطرات أن تحده والأبصار عن الإحاطة به، جل عما وصفه الواصفون وتعالى عما يعنته الناعتون...)<sup>(٢)</sup>.

وروى الكليني عن محمد بن مسلم عن الإمام الباقر عليه السلام في قوله تعالى (وإن إلى ربك المنتهى): (فإذا انتهى الكلام إلى الله فأمسكوا).<sup>(٣)</sup>

قبل أن نبدأ البحث في مسائل أي علم من العلوم لا بد أن نبحت عن المبادئ التصديقية والقواعد العامة التمهيدية وعن أصول ذلك العلم ومبادئ استنباطه، وسنشير فيما سيأتي إلى بعض تلك المبادئ والأصول لعلم العقائد إشارة فيما سوف نفصل الحديث عن بعضها الآخر بشكل أوسع بإذن الله تعالى.

### أصول وقواعد تمهيدية

**الأصل الأول:** علم العقائد علم مستقل يختلف عن علم الكلام وعلم الفلسفة في جهات عديدة كالموضوع والمنهجية والهدف والغاية والأدوات المعرفية لكل علم من تلك العلوم، وإن اشترك معهما في جهات أخرى أيضاً، وسيأتي الكلام عن ذلك بإذن الله تعالى.

**الأصل الثاني:** إن منهجنا في علم العقائد هو أن نبدأ بالآيات والروايات الشريفة معتمدين غالباً على أمهات مصادرنا المعروفة كنهج البلاغة والكافي الشريف ثم مثل الاحتجاج وتحف العقول وغيرها معتبرينها دليلاً تارة ومنبهاً تارة أخرى، وسيوضح الفرق بينهما ومساحة كل منهما لاحقاً بإذن الله تعالى.

**الأصل الثالث:** إن هنالك حقائق طبيعية مادية وأخرى غيبية متنوعة، والحقائق الغيبية على نوعين بعضها مندرج في علم أصول العقائد وبعضها أجنبي عنه، وهذه الحقائق هي واقعيات خارجية غير مرتبطة في وجودها ولا في صحتها بالعلم بما وعدمه، فسواء علمنا بما أم لا فإنها حق وصدق على عكس ما يقوله بعض القائلين بالنسبية.<sup>(٤)</sup>

### القوى والطرق التسعة لكشف الحقائق

**الأصل الرابع:** إن هنالك قوى وأدوات لمعرفة تلك الحقائق واستكشافها، وهذه القوى هي:

١- الفطرة.

٢- العقل.

(١) النحل: ٧٨.

(٢) الكافي: ج ١ باب جوامع التوحيد ح ٣ ص ١٣٨.

(٣) المصدر باب النهي عن الكلام في الكيفية ح ٢ ص ٩٢.

(٤) فصلنا الحديث عن ذلك في كتاب (نسبية النصوص والمعرفة.. الممكن والممتنع) وكتاب (نقد الهرمنيوطيقا).

٣- الحواس.

٤- ٥- القوتان المتوهمة والمتخيلة.

كما أن هنالك طرقاً ووسائل أخرى للمعرفة وهي

٦- الوحي أو الإلهام.

٧- الكشف والشهود.

٨- التجربة والاستقراء ونظائرها.

ويمكن أن نصطلح على ما يحصل بما به (العلم) وإن كان العلم بالمعنى الأعم هو ما يحصل بأية قوة أو طريق من القوى أو الطرق السابقة.

٩- إضافة إلى حضور المعلوم لدى العالم بنفسه - على نقاش وكلام<sup>(١)</sup>.

وقد أشارت الآيات والروايات إلى هذه القوى والطرق في مواطن شتى كما حدد بعضها مجالات ومساحات ومتعلقات تلك القوى والطرق.

وتشير الآية الكريمة ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئاً وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾<sup>(٢)</sup> إلى بعض تلك الآلات والقوى وإلى بعض مساحاتها، كما سيأتي.

الإمام الرضا عليه السلام: الحواس عاجزة عن إدراكه، والأوهام والخطرات كذلك.

الأصل الخامس: ما أشار إليه الإمام الرضا عليه السلام في ضمن ذكره للعديد من تلك القوى والطرق حيث نفى أن تصلح طرقاً لمعرفة الله تعالى وإدراكه أو حدّه أو الاحاطة به، إذ يقول عليه السلام:

١- «وَأَتَى يُوصَفُ الَّذِي تَعَجَزُ الْحَوَاسُ أَنْ تُدْرِكَهُ»<sup>(٣)</sup> فإن مجال الحواس هو المحسوسات من المواد وكيفياتها، والله تعالى ليس من المحسوسات.

٢- «وَالْأَوْهَامُ أَنْ تَنَالَهُ» ومن المحتمل أن يراد بالوهم هنا: ١- القوة المتوهمة التي تدرك المعاني الجزئية، كحب هذا وبغض ذاك، ٢- القوة المتخيلة تلك التي تدرك الصور الجزئية، وكيف يتوهم أو يتخيل الإنسان، مجرداً من المادة والمدة؟ هذا خلف!

٣- (والخطرات أن تحده) ولعل المراد بالخطرات ما يخطر بالبال كأنه وميض وما ينقدح في الذهن دفعة واحدة، والخطر هو الهاجس أو إشراقات العقل أو إلهاماته الابداعية وإن لم تكن ناشئة من الطرق المنطقية التحليلية. وهو تعالى لا متناهي من كل الجهات<sup>(٤)</sup> فكيف يمكن أن يحده شيء.

٤- (والأبصار عن الإحاطة به) والمراد بالأبصار البصائر كما سيأتي والبصائر تعني العقول فلا يمكن للعقل مهما حلل وحرد أو فصل وكون من أشكال منطقية وركب من مقدمات أو معاني وصور أن يحيط به تعالى لأن الاحاطة بالشيء متوقفة على محدوديته وانتهائه في جوانب، والله منزّه عن ذلك.

وتلك كانت إشارة إجمالية، أما التفصيل ففي الفصول القادمة بإذن الله تعالى.

وصلى الله على محمد وآله الطاهرين

(١) يراجع كتاب (الحجة معانيها ومصاديقها) للمؤلف.

(٢) النحل: ٧٨.

(٣) الكافي (ط - الإسلامية) ج ١ ص ١٣٨.

(٤) قالوا: انه تعالى لا متناهي شدة ومدة وبساطة. فتأمل وسيأتي في مباحث التوحيد وجه التأمل بإذن الله تعالى.